

التربية الإسلامية - سبل الوصول وعلامات القبول - الدرس (٦٩-٧٠) : الرحمة.
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٩-٠٣-١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

الرحمة :

أيها الأخوة الكرام، مع موضوع جديد من موضوعات: "سبل الوصول وعلامات القبول"، والموضوع اليوم: "الرحمة".

أذكركم أيها الأخوة بأن الله سبحانه وتعالى حينما قال:

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾

[سورة الأعراف الآية: ١٨٠]

من معاني هذه الآية أنك لا تتقرب إلى الله بأعظم من أن تتخلق بكمال من كمالاته، فانه جلّ جلاله رحمن رحيم، وأفضل وسيلة للتقرب إليه أن ترحم عباده، فإذا رحمتهم وصلت إليه، علاقة هذا الموضوع بهذه السلسلة من الدروس علاقة وشيعة، أنت حينما ترحم من حولك تستطيع أن تتقرب إلى الرحمن الرحيم.



أفضل وسيلة للتقرب إلى الله تعالى أن ترحم عباده

فلذلك:

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾

ولكن سوف نقف في هذا اللقاء الطيب عند بعض الآيات القرآنية التي نتحدث عن الرحمة.

الله جلّ جلاله خلقنا ليرحمنا ويسعدنا :

بادئ ذي بدء: الله جلّ جلاله خلقنا ليرحمنا، خلقنا ليسعدنا، وقد يقول قائل: فما بال هذه المصائب وما أكثرها؟ نقول: المركبة السيارة صنعت من أجل أن تسير، علة صنعها السير، ما بال المكبح فيها؟ المكبح من حيث المنطلقات يتناقض مع علة صنعها، المكبح يوقفها وصنعت كي تسير، لكن

المكبح أعظم ضماناً لسلامتها، أعظم ضماناً لسلامة المركبة المكبح مع أنه يتناقض فكراً مع علة صنعها.



فلذلك المصائب لها حكمة بالغة بالغة عرفها من عرفها وجهلها من جهلها. لذلك بعض علماء العقيدة يرى أنه ينبغي أن تذكر بعض أسماء الله الحسنى مثني مثني، المعز المذل معاً، يذل ليعز، الخافض الرافع، يخفض ليرفع، الضار النافع، يضر لينفع، المعطي المانع، يمنع ليعطي.

لذلك ورد:

((إن هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء، ومنزل ترح لا منزل فرح، فمن عرفها لم يفرح لرخاء – لأنه مؤقت – ولم يحزن لشقاء – لأنه مؤقت – قد جعلها الله دار بلوى وجعل الآخرة دار عقبى، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سبباً، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً، فيأخذ ليعطي، ويبتلي ليجزي))

[من كنز العمال عن ابن عمر]

الحب أصل في الدين :

إذا الآية الأولى:

﴿ وَكَلَّمَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾

[سورة هود الآية: ١١٨]

كان من الممكن أن يحملنا ربنا قسراً على الهداية، هذه الهداية القسرية لا تسعدنا إطلاقاً، لذلك أراد أن تكون علاقته بنا علاقة حب، قال:

﴿ لَنَا إِكْرَاهٌ فِي الدِّينِ ﴾

[سورة البقرة الآية: ٢٥٦]

ما أردنا أن نأتيه إلا طائعين، إلا مختارين، إلا بمبادرة منا، قال:

﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾

[سورة المائدة الآية: ٥٤]

قال:



أراد الله أن تكون علاقته بنا علاقة حب لا علاقة قسر

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدَّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾

[سورة البقرة الآية: ١٦٥]

أي ما أراد الله أن تكون علاقته بنا علاقة قسر، ولا قهر، ولا إكراه، علاقة حب. فلذلك الحب أصل في الدين لأن الإنسان في الأصل عقلٌ يدرك، وقلبٌ يحب، وجسمٌ يتحرك، وغذاء العقل العلم، وغذاء القلب الحب، وغذاء الجسم الطعام والشراب.

الله عز وجل أعطى الناس حرية الاختيار :

لذلك:

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾

ولا يزالون مختلفين لأنه خلقهم مخيرين:

﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾

[سورة الكهف الآية: ٢٩]

﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾

[سورة الإنسان]

﴿ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾

[سورة البقرة الآية: ١٤٨]



﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾

[سورة الأنعام]

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾

لكنه شاء أن يعطيهم حرية الاختيار، وشاء لهم أن يأتيه طائعين، مختارين، بمبادرة منهم، ولا يزالون مختلفين لأنهم مخيرون، دقق:

﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾

[سورة هود الآية: ١١٩]

خلقنا ليرحمنا، والله أناسٌ كثيرون يقولون لك: سبحان الله! خلقنا للشقاء، من قال لك ذلك؟ هذا خلاف القرآن

﴿إِنَّا مِنْ رَحِمِ رَبِّكَ وَإِنَّكَ خَلَقَهُمْ﴾

أي إنسان شاء رحمة الله يصل إليها لأنها مبدولة لكل مخلوق :

الآن الآية الثانية:

﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾

[سورة البقرة الآية: ١٠٥]

على من تعود يشاء؟ تعود على الإنسان بدليل ما سيأتي بعدها.

﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾

[سورة البقرة]

لأن فضله عظيم، أي إنسان شاء رحمة الله يصل إليها، مبدولة لكل مخلوق.

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو

الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾

[سورة البقرة]

الله عز و جل في بعض الآيات وصف

قرآنه بأنه مثاني، أي أية آية تتنبي على أختها فتشرحها، ما الذي يؤكد أن فاعل يشاء نحن؟

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾

لأن قوله تعالى:

﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾

أبعد قلب عن الله القلب القاسي :

الآن هذا النبي الكريم، سيد الخلق، وحبیب الحق، وسيد ولد آدم، قال تعالى عنه:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

[سورة الأنبياء الآية: ١٠٧]

فكأن علة وجودنا أن يرحمنا ربنا، الآن أكبر طريق، وأوسع طريق، وأقصر طريق، وأوسع باب نصل منهما إلى الله أن نتخلق بالرحمة، إذاً من أهم موضوعات سبل الوصول وعلامات القبول أن تكون رحيماً، والدليل:

﴿ قَوْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾

[سورة الزمر الآية: ٢٢]



أبعد قلب عن الله القلب القاسي، والآية التي تبين قانوناً رائعاً هي قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ ﴾

[سورة آل عمران الآية: ١٥٩]

أي يا محمد بسبب رحمة استقرت في قلبك كنت لينا لهم، فالتفوا حولك، اتصال رحمة لين التفاف، يقابلها انقطاع قسوة غلظة انفضاض.

الرحمة تدفع الناس إلى أن يلتفوا حولك

﴿ وَكَوْنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾

[سورة آل عمران الآية: ١٥٩]

هذه الآية أصل قانون يسمى قانون الالتفاف وقانون الانفضاض، أنت كأب، أو أنت كأم، أو أنت كمعلم، أو أنت كمرشد، أو أنت كداعية، أو أنت كمدير، أو كقائد، أنت محتاج إلى أن يلتف الناس حولك، أن يخضعوا، أن ينفذوا أوامرهم، فالذي يدعو الناس إلى أن يلتفوا حولك شيء خطير، هو أن تكون رحيماً، هذه الرحمة تنعكس لينا في معاملتهم، هذا اللين يدفعهم إلى أن يلتفوا حولك:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَكَوْنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ

وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾

تمتع المؤمن بتصور من عند خالق السماوات والأرض :

والله أيها الأخوة، آية دقيقة جداً يقول الله فيها:

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي ﴾

[سورة هود الآية: ٢٨]

الأمور واضحة، المؤمن لأنه آمن بالله، وقرأ القرآن، عنده تصورات واضحة، رائعة، عميقة، دقيقة، متناسقة للكون، والحياة، والإنسان، عنده فلسفة للمصائب، عنده فلسفة للزمن، عنده فلسفة للحياة الدنيا، عنده فلسفة لما



المؤمن لأنه آمن بالله عنده تصورات واضحة للكون والحياة

سيكون، المؤمن يتمتع بتصور من عند خالق السماوات والأرض.
فلذلك قال:

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي ﴾

أي الأمور واضحة جداً جداً للمؤمن، حتى الذي يجري له تفسير عميق جداً، أضرب لكم بعض الأمثلة: قد تنشأ حرب أهلية في بلد، تفسر أحياناً تفسيراً دولياً إن هذا البلد نما مالياً نمواً عجبياً، فالغرب حطمه، ممكن، وهناك تفسير داخلي محلي، أي هناك صراع قوى غريبة عن هذا البلد، كل قوة معها وسائل، ومعها أسلحة، وما شاكل ذلك، نشبت حرباً أهلية هذا تفسير محلي، وهناك تفسير طائفي، طوائف متناحرة من مئة عام، وهناك تفسير أنا أقول: نسواني، حكمتها عين، هذا تفسير نسائي، لكن هناك تفسيراً قرآنياً:

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ

فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾

[سورة النحل]

السكينة يسعد بها الإنسان ولو فقد كل شيء ويشقى بفقدها ولو ملك كل شيء :

لذلك:

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ ﴾

[سورة هود الآية: ٢٨]



هذا صلة بالله، الشعور بالرضا، الشعور بالسعادة، السكينة يسعد بها الإنسان ولو فقد كل شيء، ويشقى بفقدها ولو ملك كل شيء، قال:

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ

مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ

فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾

[سورة هود الآية: ٢٨]

أي تجد مؤمناً موظفاً، ضارب آلة كاتبة، بيته صغير، دخله محدود، لكن له صلة بالله تراه أسعد الناس، كأنه يملك الدنيا وما فيها.

حدثني أخ قال لي: مرة طلبت امرأة مساعدة مني - هو رئيس جمعية- القصة طويلة ذهبوا إلى بيتها أقسم لي بالله، قال لي: بيتها تحت الدرج، لم يمر معه بيت بهذا المستوى، تحت الدرج،

المساحة العالية غرفة، والأقل مطبخ، والأقل حمام، مع فسحة سماوية بسيطة جداً، أربعة أولاد كالوردات في البيت، ثيابهم نظيفة، دخلنا إلى البيت للتحقيق، ما هذا البيت؟! قال لي: والله أقسم لي بالله قبل يوم التقى مع رجل يملك أربعة مليارات، بقدر ما شكاهم لي لم أقدر على الوقوف، أربعة مليارات، البلد لم يعجبه، الشغل سيئ، لا يوجد سيولة نقدية أمامه، قال لي: طلبي هذه المرأة ألف ليرة في الشهر، فقررنا ألفين، قالت: ألف يكفي، معاش زوجي يكفيننا نحتاج إلى أجرة هذا البيت، قال لي: أنا قبل يوم التقيت مع إنسان معه أربعة مليارات يشكو هممه، وجدت هذه الأسرة المتواضعة تحت درج، لما أعطيناها ألفين رفضت، قالت: يكفي ألف.

السعيد من يتصل بالله فيهبه الرضا و الطمأنينة :

عندما يسعد الله إنساناً، قد يكون بيته صغيراً، قد تكون حياته خشنة، لكن إذا اتصل بالله يكون سعيداً.

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيْتِهِ
مِن رَّبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ
فَعَمَّيْتُ عَلَيْكُمْ أَنْلُزْمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا
كَارِهُونَ ﴾

[سورة هود]



الإنسان مخير، الله عز وجل يقول:

﴿ إِنَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَكْبَرُ أَوْلِيَاءَ لِيَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ ﴾

[سورة البقرة الآية: ٢١٨]

نحن جميعاً إن شاء الله نرجو رحمته، نرجو أن يرحمنا في الدنيا والآخرة، نرجو أن يقرّبنا، نرجو أن يتجلّى علينا، نرجو أن يهبنا السكينة و الرضا.

أسباب رحمة الله :

١ - طاعة الله وطاعة ورسوله :

الآن هذه الرحمة التي يمتلئ القلب بها ما سبيلها؟ أنت بالرحمة ترحم، فإن رحمت تصل إلى الله.

((إن كنتم تحبون رحمتي فارحموا خلقي))

[الدلمي عن أبي بكر]

قال:

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

[سورة آل عمران]

يرحمنا الله بطاعة الله ورسوله، بطاعة
الله في قرآنه وطاعة الرسول في سنته.

﴿ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ﴾

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾

[سورة الأعراف الآية: ١٥٦]

وأنت شيء، أنت ضمن رحمة الله.

﴿ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي ﴾

﴿ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾



طاعة الله في قرآنه وطاعة الرسول في سنته طريقان
إلى رحمة الله

[سورة الأعراف الآية: ١٥٦]

أي يتقون أن يعصوني، يتقون أن يغضبوني :

﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾

[سورة الأعراف الآية: ١٥٦]

إذاً: طاعة الله، وطاعة ورسوله طريق إلى رحمة الله، ورحمة الله طريق إلى القرب منه، علاقة
هذا الموضوع بسبل الوصول أنت حينما تكون رحيماً، وترحم خلقه، يسمح لك أن تتصل به، أو
أن تصل إليه.

٢ - تلاوة القرآن :

الآن سبب آخر من أسباب رحمة الله قال:

﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

[سورة الأعراف]

رحمة الله تأتيك من تلاوة القرآن، لذلك قال بعض العلماء: إذا قرأت القرآن فلم تشعر بشيء،
وصليت فلم تشعر بشيء، وذكرت الله فلم تشعر بشيء، فاعلم أنه لا قلب لك، ابحث عن قلب
ذاكر، عن قلب موصول بالله عز وجل.

المؤمن يفرح بطاعته لله و يعمل صالح أجراه الله على يديه :

الآن ما الذي ينبغي أن تفرح له؟ يقول لك: أنا عندي وكالة حصرية، أرباحي باليوم مليون، هذا كلام موجود، أرباحه اليومية، أحياناً هناك مواد غذائية مستوردة لها رواج كبير جداً، فإذا كان وكيلاً حصرياً، و على المادة طلب شديد، لا يبالغ، أرباحه اليومية مليون كل يوم، قال: لا تفرح بهذا الدخل الكبير، بيل غيت يملك تسعين ملياراً،



شاب ليس كبيراً في السن.

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾

[سورة يونس الآية: ٥٨]

لما قارون خرج من قوم موسى:

﴿ فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾

[سورة القصص]

لابد من أن تفرح، ولكن بماذا يفرح؟ المؤمن يفرح بطاعته لله، يفرح بفهمه لكتاب الله، يفرح بعمل صالح أجراه الله على يديه، يفرح أنه ربي أولاده، يفرح بأن دخله حلال، إنفاقه حلال، بيته إسلامي، يفرح أن الله وفقه بالدعوة إلى الله.

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾

[سورة يونس]

مستقبل الإنسان في الآخرة لا في الدنيا :

أحياناً تدخل إلى بيت يقول لك: سعره مئة وثمانون مليوناً، لكن أين صاحبه؟ بالقبر، من اختار البلاط؟ المرحوم، من اختار الثريات الرائعة؟ المرحوم، من اختار هذا المنظر الطبيعي الرائع؟ المرحوم،

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾



سبحان الله! الإنسان يجمع الدنيا لبننةً فوق لبنة، خلال عمر مديد، ثم يفقدها في ثانية واحدة.

إنسان ساكن ببيت تحت الأرض شمالي، تقريباً عاش في البيت ثلاث وعشرين سنة، وهو يجمع ويجمع حتى تمكن من شراء بيت، له إطلالة جميلة جداً، فجلس في الشرفة بأول يوم سكن فيه مع زوجته قال لها: الآن أمنا

مستقبلنا ، ثالث يوم كان متوفى تحت الأرض، ليس هناك مستقبل، مستقبلك عند الله، مستقبلك في الآخرة،

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾

الإنسان إن لم يعرف ربه حينما تأتي كلمة إنسان معرفةً بأل فهو الإنسان قبل أن يعرف الله.

﴿ وَلَئِن أَدْنَا الْإِنْسَانَ مِمَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ * وَلَئِن أَدْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ

ضُرَاءٍ مَسْتَه لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ ﴾

[سورة هود الآية: ٩-١٠]

يفرح فرحاً باطلاً، وبيأس يأساً باطلاً، يأس وباطل، وفرح وباطل، إلا إذا عرف الإنسان ربه.

٣ - الإحسان :

الآن: الطاعة طريقٌ لرحمة الله، تلاوة القرآن طريقٌ آخر لرحمة الله، هناك طريق ثالث.

﴿ إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

[سورة الأعراف]

بالطاعة يرحمك الله، وبتلاوة القرآن يرحمك الله، وبالإحسان يرحمك الله.

الرحمة بيد الله لا بيد البشر :

الآن هذه الرحمة بيد الله لا بيد البشر،

لذلك قال تعالى:

﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

[سورة فاطر]



الأمر بيده وحده، علاقتك مع الله، يقول لك: معي فتوى من فلان، خير إن شاء الله! لو استطعت أن تنتزع فتوى من فم رسول الله ولم تكن على حق لا تنجو من عذاب الله.

((إنما أنا بشر ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فإنما أقطع له قطعة من النار))

[أخرجه ابن ماجه وأبو يعلى والإمام أحمد وابن حبان عن أبي هريرة]

٤ - العلم :



الآن هناك موازنات بالقرآن:

﴿ أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا
وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ
قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا
يَعْلَمُونَ ﴾

[سورة الزمر الآية: ٩]

معنى ذلك أن العلم طريق لرحمة الله، أصبح الطاعة، القرآن، الإحسان، العلم، هذه كلها سبل الوصول إلى الله عز وجل.

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا
إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾

[سورة الزمر]

مهما كبر الذنب

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا
إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾

القنوط واليأس كفر بالله عز وجل :

لذلك أيها الأخوة، المؤمن لا يقنط أبداً، والقنوط واليأس كفر بالله عز وجل، لكن الله عز وجل ينصحننا.

أخواننا الكرام، الإنسان أحياناً يعمل بالتجارة، بالزراعة، بالصناعة، بالخدمات، يحمل شهادة عليا، يكسب رزقه، في درجة أعلى من كسب الرزق، ينتقل إلى مرحلة اسمها الجمع، أي يجب أن يربح ثلاثين مليوناً، والله السنة الأسواق عاطلة، خسرنا خمسة ملايين، أي قلّ ربحه بمقدار خمسة

ملايين، فهناك حالة تصيب التجار والصناعيين هي حالة الجمع، ينتقل من مرحلة كسب الرزق إلى مرحلة الجمع، المباهاة، كم حجمك المالي؟ والله ثلاثمئة مليون لا شيء، لنا أخ أربعة آلاف مليون، الآن الكلام بالمليارات، كان بالملايين الآن بالمليارات

الله عز و جل يقول لنا:

﴿ وَرَحْمَةً رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾

[سورة الزخرف]

إلهٌ ينصحك، أنت تعرف ربك، مستقيم،
تقرأ القرآن، لك أعمال صالحة، ربيت
أولادك، لا تملك شيئاً من الدنيا،

﴿ وَرَحْمَةً رَبِّكَ خَيْرٌ ﴾

من طاعتك، من إخلاصك، من تربية
أولادك، من أعمالك الصالحة



القنوط والياس كفرٌ بالله عز وجل

﴿ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾

قال له: أين تذهب؟ شاب بمقتبل العمر توفي والده من أسبوع، فالتقى به صديق والده، قال له: أين؟ قال له: ذاهب أسكر على روح أبي، خلف له أموالاً طائلة، وهو جاهل ومنحرف،

﴿ وَرَحْمَةً رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾

رحمة الله تقتضي ألا يرد بأسه عن إنسان شرد عن الله عز وجل :

الآن أحياناً تقتضي رحمة الله أن يؤدبك.

﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبِّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾

[سورة الأنعام]

تقتضي رحمة الله ألا يرد بأسه عن إنسان شرد عن الله عز وجل.

اعتزال من لا يعبد الله عز وجل و الابتعاد عنه :

أيها الأخوة، الآن أحد طرق الوصول إلى رحمة الله، قال تعالى:

﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ ﴾

[سورة الكهف الآية: ١٦]

مجتمع اختلاط، عرس مختلط، النساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات، جلسة كلها كذب ونفاق،
جلسة كلها غيبة ونميمة، جلسة كلها فتن:

﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾

[سورة الكهف الآية: ١٦]

أي لا يعبدون الله، أما إذا عبدوا الله فينبغي ألا تعتزلوهم.

﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ ﴾

[سورة الكهف الآية: ١٦]

أعظم شيء في حياة الإنسان عمل صالح يلقى الله به :

الآن الجامع كهف، الآن بيتك كهف، ادخل إلى بيتك وصل، ادخل إلى بيتك وقرأ القرآن، ادخل إلى بيتك و ربّ أولادك:

﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾

[سورة الكهف الآية: ١٦]



لذلك النبي الكريم إذا دخل المسجد يقول:

((اللهم افتح لي أبواب رحمتك))

[أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي عن أبي حميد وأبي أسيد]

الرحمة في المسجد، فإذا خرج من المسجد:

((اللهم إني أسألك من فضلك))

[أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي عن أبي حميد وأبي أسيد]

في الحياة العامة تريد عملاً صالحاً يرحمك الله به، بالدخول للمسجد تحتاج إلى سكينه تنزل على قلبك، فبالدخول:

((اللهم افتح لي أبواب رحمتك))

بالخروج:

((اللهم إني أسألك من فضلك))

قال:

﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴾

[سورة الكهف]

رحمة الله تأتي من طاعته ومن الجهد الذي يبذل للوصول إليه سبحانه :

أيها الأخوة، أحياناً:

﴿وَأِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾

[الإسراء الآية: ٢٨]

قال لي إنسان: والدي أمرني بتطبيق زوجتي، قلت له: كيف زوجتك؟ قال لي: جيدة جداً يا أستاذ، صاحبة دين، محببة، لكن أبي لا يحبها، قال لي: طلقها، ماذا أفعل؟ قلت له: لا تطلقها، قال لي: أليس سيدنا عمر أمر ابنه أن يطلق زوجته؟ قلت له: أبوك عمر؟ إذا كان أبوك عمر بن الخطاب فطلقها، لكن أباك ليس عمراً.



﴿وَأِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾

[سورة الإسراء]

كن لطيفاً لكن لا ترد عليهم. قالت له: إما أن تكفر بمحمد أو أن أدع الطعام حتى أموت - أم سيدنا سعد بن أبي وقاص - قال: يا أمي لو أن لك مئة نفس فخرجت واحدة واحدة ما كفرت بمحمد، فكلي إن شئت أو لا تأكلي، أكلت فيما بعد. أيها الأخوة، رحمة الله تأتي من طاعة الله، وتأتي من تلاوة القرآن، وتأتي من العمل الصالح:

﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾

وتأتي أيضاً من هذا الجهد الذي يُبذل للوصول إلى الله عز وجل.

والحمد لله رب العالمين